

(الصراط والمرور عليه)

خالد ضحوي الظفيري

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد:

فإن العبد المؤمن الذي يوقن باليوم الآخر وما فيه من الأهوال العظام والأمر الجسام يكون دائم الاستعداد ليوم المعاد، يجتهد في العمل برضوان الله والبعد عن معصية الله، يعلم أن الذي ينجيه بعد رحمة الله تعالى عمله الصالح في هذه الدنيا الذي هو زاده في الآخرة، فمن عمل خيراً لقي خيراً ومن عمل سوءاً فلا يلومن إلا نفسه، (وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ).

في ذلك اليوم حين يُبعث الناس من قبورهم، ويحشرون، ويحاسبون، فمنهم من يأخذ كتابه بيمينه، ومنهم من يأخذه بشماله، ويذهب أهل الشرك مع من كانوا يعبدونه من الأصنام والأوثان ومن رضي بعبادته إلى جهنم وبئس المصير، ويبقى أهل الإيمان وأهل العصيان والنفاق في ظلمة ويضرب الجسر على ظهر جهنم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ، فَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا شَافِعُوهَا أَوْ مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِينَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَنَا رَبُّنَا عَرَفْنَا، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا فَيَتَّبِعُونَهُ، وَيَضْرِبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيرُهَا، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِيبٌ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، هَلْ رَأَيْتُمُ السَّعْدَانَ؟ قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا قَدْرُ عِظْمِهَا إِلَّا اللَّهُ، تَخْطِفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ الْمُؤَبَّقُ بَقِي بَعْمَلِهِ، أَوْ الْمُؤَبَّقُ بَعْمَلِهِ، وَمِنْهُمْ الْمُحَرِّدُ أَوْ الْمُجَارِي أَوْ نَحْوُهُ)، [رواه البخاري]، وهذا الصراط الذي يمر عليه الناس يوم القيامة أخبر عنه الله تعالى في كتابه وأخبر أننا جميعاً ما زون عليه وفوقه فقال: (وَإِنْ

مِنْكُمْ إِلَّا وَاَرِدْهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا)، وهذا الصراط أحد من السيف، مدحضة مزلة زلق عليه كالليب وخطاطيف مثل الشوكة العظيمة تخطف الناس وتلقيهم في النار، وتحتهم جنهم ولهبها وحريقها، فما أشد الهول وما أظع الموقف، لكن أهل الإيمان يعطيهم الله تعالى من النور الذي يرون به طريقهم، ومن السرعة ما يستطيعون بها تجاوزه بحسب أعمالهم في هذه الدنيا، ويخبرنا الله تعالى عن هذا الموقف العظيم وكيف يهلك المنافقين في هذا الموقف، (يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ، يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِسْ مِنْ نُورِكُمْ [أي انتظرونا نأخذ من نوركم] قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ)، وأهل أمان يتفاوتون في نورهم بحسب سبقتهم إلى الصالحات، كما في حديث ابن مسعود الطويل الذي فيه يقول النبي ﷺ: (فِيُعْطُونَ نورهم على قدر أعمالهم وقال: فمنهم من يُعْطَى نوره مثل الجبل بين يديه، ومنهم من يُعْطَى نوره فوق ذلك، ومنهم من يُعْطَى نوره مثل النخلة بيمينه، ومنهم من يُعْطَى نوره دون ذلك بيمينه، حتى يكون آخر من يُعْطَى نوره على إبهام قدمه، يضيء مرة، ويطفأ مرة إذا أضاء قدم قدمه، وإذا أطفئ قام).

عباد الله:

وأما سرعاتهم فتختلف أيضا بحسب قربهم من الله تعالى في الدنيا، ففي حديث ابن مسعود الطويل أيضا يقول النبي ﷺ: (ويمرون على الصراط، والصراط كحد السيف، دحض مزلة، فيقال لهم: امضوا على قدر نوركم، فمنهم من يمر كأنقضاض الكوكب، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالطرف، ومنهم من يمر كشدة الرِّجُل، يرمل رملاً، فيمرون على قدر أعمالهم، حتى يمر الذي نوره على إبهام قدمه تَحْرُ يدٌ، وتَعْلَق يدٌ، وتَحْرُ رِجْلٌ، وتعلق رجل، وتصيب جوانبه النار، فيخْلُصون، فإذا خُلُصُوا قالوا: الحمد لله الذي نجانا منك بعد أن أَرَانَاكَ، لقد أعطانا الله ما لم يعط أحد).

واسمع لآخرهم نجاة كيف ينجو، وكيف ينقسم الناس، ففي حديث أبي سعيد في الصحيحين قال ﷺ: (ثُمَّ يُؤْتَى بِالْجَسْرِ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْجَسْرُ؟ قَالَ: مَدْحَضَةٌ مَرَّلَةٌ عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ وَكَالَالِيبِ وَحَسَكَةٌ مُفْلَطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ تَكُونُ بِنَجْدٍ يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرَّيْحِ وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَتَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا). ولشدة هذا اليوم تدعوا الأنبياء بالسلامة لأمتهم، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (ونبيكم قائم على الصراط يقول: رب سلم سلم. حتى تعجز أعمال العباد، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً)، [رواه مسلم].

فاعملوا عباد الله لهذا اليوم لتكونوا من أهل النجاة، وجعلنا الله وإياكم منهم. أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه، إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ .

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنِ اتَّبَعَ هُدَاهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ رَبُّهُ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ .
أَمَّا بَعْدُ:
فَأَوْصِيكُمْ -عِبَادَ اللَّهِ- وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ، فَمَنْ اتَّقَى اللَّهَ وَقَاهُ، وَنَصَرَهُ وَكَفَاهُ .
عباد الله:

سيبان عظيمان ورد ذكرهما في أحاديث الصراط، هما من أعظم أسباب السلامة والمروءة عليه والنجاة، وهما ما وردا في حديث أبي هريرة عند مسلم وفيه أن النبي ﷺ قال: (وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحْمُ، فَتَقُومَانِ جَنْبَيْ الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا). قال الحافظ ابن حجر: (والمعنى: أن الأمانة والرحم لعظم شأنهما وفخامة ما يلزم العباد من رعاية حقهما، يوقفان هناك للأمين والخائن، والمواصل والقاطع، فيحتاجان عن المحق، ويشهدان على المبطل).

فعلى العبد أن يكون آمينا في كل شأنه، آمينا على دينه فيقيم على الكتاب والسنة، آمينا على أهله وأولاده فيحسن تربيتهم، آمينا في عمله في تعاملاته وبيعه وشرائه، وكذلك يكون واصلا لرحمه، محسنا لوالديه بارا بهما، محسنا لأقاربه، يتفقد أحوالهم، يعين محتاجهم، ويقف معهم، فالرحم من وصلها وصله الله ومن قطعها قطعته الله.